

بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة مقدمة لندوة الحوار بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة

mekki@sharjah.ac.ae

ضمن محور: الحوار مع المشركين في السنة النبوية

بعنوان: استراتيجية الحوار لدى النبي المختار

"صلح الحديبية أنموذجاً"

الدكتور نور الدين عباسي

الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية دبي ص. ب: ٥٠١٠٦

لم يُكتب للحوار نجاحٌ باهرٌ كحوار النبي ﷺ مع قومه من المشركين، ونحن لا نريد في هذا المقام أن نُدلل على صدق نبوة محمد ﷺ من خلال نصر الله تعالى له، وبسط رسالته في فترة وجيزة فقط، بل نريد في هذه الورقة أن نقف على الاستراتيجية التي سلكها الرسول الأعظم ﷺ في قبول وتنفيذ بنود صلح الحديبية بعد هجرته إلى المدينة المنورة، وقد كانت الحرب سجالاً بين الفريقين.

واستثنائية الحوار الذي جرى في صلح الحديبية تتمثل - في نظري - في عدة أمور من

أهمها:

- ١- أنه لم يكن على سنن الشورى؛ إذ كل ما كان يسلكه الرسول ﷺ من الأمور الاجتهادية كان يتقيد فيه بالشورى، فالشورى ملزمة له؛ لعموم قوله تعالى ﴿وشاورهم في الأمر﴾ (١).
- ٢- أن حوار ه ﷺ فيها - أي في صلح الحديبية - لم يكن فقط بينه وبين ممثل قريش، بل تعدى ذلك إلى كبار الأركان من الصحابة عليهم الرضوان، ممّا صعب مهمة الرسول الكريم ﷺ.
- ٣- أنه بسبب ما آل إليه من اتفاق على بنود الصلح التي يدل ظاهرها على كثير من الإجحاف والتنازل الملفت للانتباه، أظهرَ أغلبُ الصحابة شيئاً من الرفض و عدم التسليم بما جاء في الصلح، كاد يصل بهم إلى العصيان كل ذلك وغيره، دعاني إلى أن أقف على حادثة صلح الحديبية، وأجعلها أنموذجاً يُقتدى به في كل حوار هادئ وهادف،

(١) آل عمران: ١٥٩.

سواء أكان الحوار بينياً - فيما بين المسلمين - أم كان الحوار مع الغير؛ إذ لم يعدم الحوار في صلح الحديبية مع جميع الأطراف. وحوار الأطراف الخاص كان فتحاً ومدخلاً لحوار عام وشامل خلص منه صحابة رسول الله ﷺ نجياً إلى بث الدعوة والمناظرة جهاراً نهاراً، وقد كانوا من قبل لا يأمنون على أنفسهم من ذلك، بل خروجهم من ديارهم من قبل كان بسبب ذلك.

ولا ينبغي أن يعزب عنا قوله ﷺ في هذا المقام لما اضطرتة قريش إلى الهجرة فقال مخاطباً بلده مكة المكرمة: (ما أطيبك من بلدة وأحبك إلي ولو لا أن قومك أخرجوني ما سكنت غيرك).^(١)

فدل على أن النبي ﷺ كان يحرص لتحقيق هدف طالما كان غائبا على الجميع؛ إذ هو مُفتّاح الوصول لنجاة العباد بهدي الرسول، فَعَمِلَ على انتزاع حق العباد في الاستماع إلى الدعوة والرشاد، ولا يتم ذلك إلا في جو من السلم والسلام، والمصالحة والوئام، جريا على قاعدة مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

هذا هو التفسير الأقرب في نظري لفعل الرسول ﷺ واستراتيجيته في الحوار أثناء إجراء صلح الحديبية، والله تعالى أعلم.

وسوف يتم تقسيم خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة

المبحث الأول: حديث صلح الحديبية الخاص بالحوار الذي دار بينه ﷺ وبين قريش تخريجاً وشرحاً.

المبحث الثاني: استراتيجية النبي ﷺ في صلح الحديبية وانتهاجه لسياسة الحوار في عقد المعاهدة.

المبحث الثالث: الفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية.

الخاتمة.

المبحث الأول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين في أول كتاب المناسك (٦٦١/١)(١٧٨٧)، بلفظه، وأخرجه ابن حبان - الصحيح - في الحج - باب فضل الحج والعمرة - ذكر البيان بأن مكة كانت أحب الأرض إلى رسول الله ﷺ، وأخرجه أحمد حديث رقم (١٨٧٣٧) (٣٠٥/٤)، وأخرجه الدارمي في السير - باب إخراج النبي ﷺ من مكة - بلفظ: والله إنك لخير أرض لله وأحب أرض لله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت، حديث رقم (٢٥١٠)(٣١١/٢)، وأخرجه الترمذي في المناقب عن رسول الله ﷺ - باب في فضل مكة - حديث رقم (٣٩٢٥)(٧٢٢/٥)، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح.

حديث صلح الحديبية الخاص بالحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وقريش تخريجاً وشرحاً. لعل المقام لا يتسع لذكر كل الأحاديث الواردة في صلح الحديبية استقصاءً وتتبعاً، لذا فإني أكتفي بذكر الحديث الخاص بالحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وقريش؛ لما له من علاقة بموضوع المداخلة.

وأريد أن أشير هنا إلى الخلاف الحاصل في تسمية حادثة الحديبية، وأن تسميتي لها بالصلح، إن هو إلا ترجيح شدّني إليه موضوع المداخلة، فضلاً عن أنّ أحداً لا يماري في أنها كانت مقدمة الفتح المبين، فوجب العدول عن غيرها من التسميات؛ إذ سماها البعض بأمر الحديبية^(١)، وبعضهم بقصة الحديبية^(٢)، وبعضهم بعمره الحديبية^(٣)، وثمة من سماها بغزوة الحديبية^(٤).

ولعل كل فريق من هؤلاء كانت تسميته لها باعتبار ما، ووفق مرجح توصل إليه، وأحسب أنّ جميع التسميات لا تتعارض مع ما ذهبت إليه، وإن كان قد يشكل على من سماها بالغزوة؛ إذ الغزو فيها لم يقع حقيقة، وأنّ الفتح الذي يتحقق بالغزو، غير الفتح الذي يتم بالصلح، وأنّ العبرة في التسمية لفعل الشارع وإلى ما قضى به لا إلى ما اعتاده الغير من الأفعال والتصرفات والتسميات.

وعليه فقبل أن ننظر في موافقة التسمية لاصطلاح أهل السير والحديث، وأنه تم إطباق الصحابة ﷺ على ذينك الاسم والاصطلاح^(٥)، كان لا بد أن ننظر ابتداءً وانتهاءً إلى مآلات أفعال الشارع وتصرفاته، وأنه كما نتقيد بأمر الشارع ونهيه في عموم التكاليف الشرعية، فإنه يجب أيضاً التقيد بأوامره ونواهيه في شؤون الحرب والسلام أيضاً وإن كان مجتهداً؛ لأن الله تعالى لا يُقره على خطأ؛ لذا قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾^(٦).

ومهما يكن من أمر هذا الخلاف، فإنه لا يعدو أن يكون خلافاً في اللفظ والتسمية ليس إلا.

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (٣/٣٠٨)، المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (٢/١٧٩).

(٢) ينظر: تاريخ الطبري (٢/٧١)، زاد المعاد (٣/٢٨٦).

(٣) ينظر: الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص ٢٠٤، فقه السيرة للشيخ الغزالي ص ٣٤٨.

(٤) ينظر: تاريخ خليفة ابن خياط ص ٨١، فقه السيرة أ.د محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٣٠.

(٥) هذه هي أهم مرجحات صاحب رسالة: مرويات غزوة الحديبية، د. حافظ بن محمد عبد الله الحكمي، ص ١٦.

(٦) النجم: ٤، ٣.

هذا وقد اخترت من الأحاديث الصحاح ما كان بلفظ صحيح البخاري، لأنه هو الأقوى والأبقى، فضلاً عن شروحه التي هي الأكثر تداولاً واستيعاباً لمجريات حوادث ووقائع قصة صلح الحديبية.

لقد ساق الإمام البخاري نص الحديث على طوله بعدّه حواراً دار بين الرسول ﷺ والطرف الذي طلب منه الوساطة بينه وبين قريش، وما تم في الأخير من صلح ومصالحة، وإن كان المصنف قد اختصر صدر هذا الحديث في غير هذا الموضوع، فإنني أنقل هذا الحديث بطوله وتامه؛ لما أفاده من نقل دقيق، ورصد لجميع فصول قصة صلح الحديبية، مشفوعاً بذكر ما جاء من شرح لجمله وفقراته - التي غالباً ما أرمز لها بالخط الأسود العريض - من شرح ابن بطلال وشرح الخطابي وفتح الباري، هذا وقد وجدت نفسي مضطراً إلى أن أقوم بسوق الحديث في أطراف ومقاطع، كل طرف منه يُتبع بشيء من الشرح والبيان.

الطرف الأول من متن الحديث: قال الإمام البخاري: "حدثني عبد الله بن مُحَمَّدٍ حدثنا عبد الرزّاق أخبرنا معمرٌ قال أخبرني الزُّهريُّ قال أخبرني عروَةُ بن الزُّبَيْرِ عن المِسْوَرِ بن مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ - يُصَدِّقُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ - قالوا: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ حَتَّى كَانُوا بَبْعُضِ الطَّرِيقِ، قال النبي ﷺ: (إِنْ خَالِدَ بنِ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ^(١) فِي خَيْلِ لِفُرَيْشٍ طَلِيعَةَ^(٢)، فَخَذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ^(٣) .

طلبيعة المشركين قدمت بمائتي فارس إلى كراع الغميم وعليهم خالد بن الوليد، ودخل بشر بن سفيان الخزاعي مكة، فسمع كلامهم وعرف رأيهم، فرجع إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بذلك، ودنا خالد بن الوليد في خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ عباد بن بشر فتقدم في خيله فأقام بإزائه، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف، وصرف أصحابه، وأخذ بهم إلى طريق غير طريق خالد، وما جاوزوها إلا بمشقة كبيرة، حتى يتحاشى القتال، فأفضى بهم إلى ثنية أنزلتهم على الحديبية^(٤).

(١) الغميم: هو الكلا الأخضر اليابس، والغميم فعيل بمعنى مفعول، أي مغموم، وهو الشيء المغطى، كراع الغميم موضع بين مكة والمدينة، والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي. ينظر: معجم البلدان (٢١٤ / ٤)، النهاية في غريب الأثر (١٦٥/٤)، غريب الحديث للخطابي (٧٢/١).

(٢) جمع طلائع: وهم الجماعات يبعثون بين يدي الجيش ليطلعوا على أخبار العدو ومكانهم، والواحد طليعة. ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٥ / ١)، النهاية في غريب الأثر (١٣٣/٣).

(٣) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٨٨/٥).

(٤) ينظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٥/٢)، السيرة النبوية لابن هشام (٢٧٦/٤)، صلح الحديبية "الفتح المبين" شوقي أبو خليل ص ٥٨، ٥٩.

الطرف الثاني من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "... فَوَاللَّهِ مَا شَعَرَ بِهِمْ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِقَتْرَةَ^(١) الْجَيْشِ، فَانْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرًا لِفَرِيثِ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالنَّيْتِيَةِ الَّتِي يُهَيِّطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلِّ حَلِّ^(٢). فَأَلْحَتِ. فَقَالُوا: خَلَّتْ^(٣) الْقَصْوَاءُ، خَلَّتْ الْقَصْوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَا خَلَّتْ الْقَصْوَاءُ وَمَا ذَاكَ لَهَا يَخْلُقُ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ) ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا).^(٤).

"قال الخطابي: "وقوله: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا، يريد والله أعلم المصالحة والجنوح إلى المسالمة وترك القتال في الحرم والكف عن إراقة الدماء فيه، وهو معنى تعظيم حرمة الله."^(٥).

الطرف الثالث من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "... ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثِبَتْ، قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ الْمَاءِ يَبْرُضُهُ النَّاسُ تَبْرُضًا، فَلَمْ يَلْبَثْهُ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشَكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَاَنْزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ،..."^(٦).

قال ابن حجر: "قوله: ثُمَّ زَجَرَهَا، أي الناقة، فوثبت، أي قامت، قوله: فعدل عنهم في رواية ابن سعد فولى راجعا، وفي رواية ابن إسحاق فقال للناس: انزلوا، قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ننزل عليه، قوله: على ثمد، بفتح المثناة والميم، أي حفيرة فيها ماء مثمود أي قليل، وقوله قليل الماء تأكيد لدفع توهم أن يراد لغة من يقول أن الثمد، الماء الكثير، وقيل: الثمد، ما يظهر من الماء في الشتاء ويذهب في الصيف"^(٧).

(١) القتر: شبه دخان، فهي غبرة يعلوها سواد كالدخان، جاء في التنزيل: ﴿وَجِوَاهِرٌ يُومِئِدُ عَلَيْهَا غُبْرَةٌ تَرَهَقُهَا قَتْرَةٌ﴾ عيس: ٤٠، ٤١، ينظر: تهذيب اللغة (٦٠/٩)، لسان العرب (٧٣/٥)، المعجم الوسيط (٧١٤/٢).
(٢) حَلَّحَ بِالْإِبِلِ قَالَ لَهَا: حَلِّ حَلِّ مُؤَنَّتَيْنِ، أَوْ حَلِّ مُسْكَئَةٍ، وَكَذَلِكَ حَلَّى، وَقِيلَ حَلَّ فِي الْوَصْلِ، وَكَلَّ ذَلِكَ زَجْرٌ لِإِنَاثِ الْإِبِلِ خَاصَّةً .. وَاشْتَقَّ مِنْهُ اسْمٌ، فَقِيلَ: الْحَلْحَالُ، يَنْظُرُ: تَاجِ الْعُرُوسِ (٣٣٦/٢٨)، المحكم والمحيط الأعظم (٥٣٢/٢)، لسان العرب (١٧٤/١١)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٦/١).
(٣) والخلاء في الإبل كالحران في الدابة، خلأت الناقة خلاء أي لم تبرح مكانها تعسرا منها، وخلأت الناقة حرنت وبركت من غير علة، ينظر: العين (٣٠٨/٤)، مختار الصحاح (٧٧/١). تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٦/١).
(٤) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٨٨/٥).
(٥) معالم السنن (٣٢٨/٢).
(٦) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٨٨/٥).
(٧) فتح الباري (٣٣٦، ٣٣٧/٥).

قال الخطابي: "وقوله: **يَتَّبَرِّضُهُ النَّاسُ تَبْرُضًا**، أي: يأخذونه قليلاً قليلاً. والبرّض: اليسير من العطاء." (١)

قال ابن حجر: "قوله: **فلم يلبثه بضم أوله** وسكون اللام من الالباب، وقال ابن التين: بفتح اللام وكسر الموحدة الثقيلة، أي لم يتركوه يلبث أي يقيم، قوله: **وَشُكِّيَ بضم أوله** على البناء للمجهول، قوله: **فانتزع سهما** من كنانته أي أخرج سهما من جعبته، ... قوله: **يجيش بفتح أوله** وكسر الجيم وآخره معجمة أي يفور وقوله بالري بكسر الراء ويجوز فتحها، وقوله: **صدروا عنه** أي رجعوا رواء بعد وردهم" (٢).

الطرف الرابع من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "... فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ جَاء بُدَيْلُ بن ورَقَاء الخُزَاعِي فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُرَاعَةَ - وَكَانُوا عِيَّةً نُصِحَ (٣) رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ - فَقَالَ: **إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ (٤) الْحُدَيْبِيَّةِ، وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ (٥)، وَهُمْ مُقَاتِلُونَ وَصَادُونَكَ عَنِ النَّبِيِّتِ.** فقال رسول الله ﷺ: **(إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ فُرَيْشًا قَدْ نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبُ (٦) وَأَضْرَتَ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُ، فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُوا (٧)، وَإِنَّ هُمْ أَبَوَا قَوْلِ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرَدَ سَالِفَتِي (٨) وَلِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ).**

فقال بُدَيْلٌ: **سَأَبْلَغُهُمْ مَا تَقُولُ.** قال: **فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى فُرَيْشًا،** قال: **إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجْلِ، وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا، فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا.** فقال سَفَهَاؤُهُمْ: **لَا حَاجَةَ لَنَا أَنْ**

(١) أعلام الحديث للخطابي (١٣٣٧/٢).

(٢) فتح الباري (٣٣٧/٥).

(٣) يقال: فلان عيبة نصح: إذا كان موضع سره وثقته في ذلك، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري البخاري ومسلم (٣٩٦/١).

(٤) الماء العد: الكثير الجري الذي لا انقطاع لمادته، كماء العين والبئر المعينة، ويقال في جمعه أعداد وهو الذي أراد بقوله: **نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ**، أي نزلوا في هذه المواضع على هذه المياه، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٧/١).

(٥) العود المطافيل: يريد النساء والصبيان، والعود: جمع عانذ وهي الناقة التي وضعت ...، والمطافيل: جمع مطفل وهي الناقة معها فصيلها، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٧/١).

(٦) **نَهَكْتُهُمُ الْحَرْبُ**: أي أضرت بهم وانتشرت فيهم، يقال: نهكته الحمى نهكاً، إذا بلغت منه وأثرت فيه وبدا ضررها عليه، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٧/١).

(٧) جموا: استراحوا، والجمام: الراحة بعد التعب، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٧/١).

(٨) السالفة: صفحة العنق: وهما سالفتان عن يمين وشمال يعني الموت؛ لأنها لا تتفرد عما يليها إلا بذاك، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٧/١).

تُخْبِرْنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ. وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ، يَقُول: قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُول كَذَا وَكَذَا. فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.

فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَيُّ قَوْمٍ، أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ؟، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: أَوْلَسْتُ بِالْوَالِدِ؟، قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَهَلْ نَتَّهَمُونَ نَبِيَّ؟، قَالُوا: لَا. قَالَ: أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ^(١) أَهْلَ عُكَاظٍ، فَلَمَّا بَلَّحُوا^(٢) بَلَّحُوا^(٣) عَلَيَّ جِنَّتَكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي وَمَنْ أَطَاعَنِي؟، قَالُوا: بَلَى.

قَالَ: فَإِنْ هَذَا قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُسُدٍ^(٤) اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ. قَالُوا: إِنَّتِهِ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ^(٥).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: "قَوْلُهُ: وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَرِيدُ: أَنَّهُ كَانَ مَوْضِعَ سِرِّهِ، وَثِقَتِهِ، الَّذِي يَأْتِمُنُهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ إِنَّمَا يُوَدِّعُ عَيْبَتَهُ حَرَّ الْمَتَاعِ، وَمَصُونِ الثِّيَابِ، فَضُرِبَ الْمَثَلُ فِي ذَلِكَ بِالْعَيْبَةِ."^(٦)

قَالَ ابْنُ حَجْرٍ: "وَكَانَ الْأَصْلُ فِي مَوَالِيَةِ خِزَاعَةِ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا تَحَالَفُوا مَعَ خِزَاعَةٍ فَاسْتَمَرُوا عَلَى ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ."^(٧)

الطَّرْفُ الْخَامِسُ مِنْ مَتْنِ الْحَدِيثِ: جَاءَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: "فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ: أَيُّ مُحَمَّدٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ أَمْرَ قَوْمِكَ، هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟، وَإِنْ تَكُنَ الْأُخْرَى، فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَرَى وَجُوهًا، وَإِنِّي لَأَرَى أَشْوَابًا^(٨) مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفْرُوا وَيَدْعُوكَ. فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: امْصُصْ بَطْرَ اللَّاتِ، أَنْحَنُ نَفْرًا عَنْهُ وَنَدَعُهُ؟.

فَقَالَ: مَنْ ذَا؟، قَالُوا: أَبُو بَكْرٍ. قَالَ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَا يَدٌ كَانَتْ لَكَ عِنْدِي لَمْ أُجْرِكَ بِهَا لِأَجْبَتِكَ.

(١) استنفرت القوم: دعوتهم إلى قتال العدو، فإن أجابوا، قيل: نفرُوا أي انطلقوا، فساروا، وإلا قيل: أبوا أو بلحوا، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (٣٩٧، ٣٩٨/١).

(٢) أصل التبليغ الإعياء والعجز والفتور، يقال: بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر على الحركة وعجز عنها، وقد يقال بالتخفيف بلح، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٨/١).

(٣) الخطة: الحال، يقال: خطة رشد وخطة غي، والرشد والرشاد: الطريق المستقيم والهدى والاستقامة والأستقامة والصلاح، ويقال: يرشد يرشداً، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٨/١).

(٤) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٨٨/٥، ٣٨٩).

(٥) أعلام الحديث للخطابي (١٣٣٨/٢).

(٦) فتح الباري (٣٣٧/٥، ٣٣٨).

(٧) من الأوشاب، والأشواب من الناس مثل الأوباش وهم الأخطا، والأشائب أيضاً الأخطا من الناس، وواحد والأشائب إشابة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٨/١).

قال وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحيته النبي ﷺ، ضرب يده ينعل السيف^(١) وقال له: أحر يدك عن لحيته رسول الله ﷺ فرقع عروة رأسه، فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة. فقال: أي عذر، ألسنت أسعى في عذرتك؟.

وكان المغيرة صحب قومًا في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم. فقال النبي ﷺ: (أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء).

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه. قال فوالله ما تنح رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تواضوا كادوا يفتنون على وضوئه، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده، وما يحدثون إليه النظر تعظيمًا له.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن تنح نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا تواضوا كادوا يفتنون على وضوئه، وإذا تكلموا خفصوا أصواتهم عنده، وما يحدثون إليه النظر تعظيمًا له.

وإنه قد عرض عليكم خطبة رشدي فاقبلوها. فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتية، فقالوا: آتية. فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له)، فبعثت له، واستقبله الناس يلبون. فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت. فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد فلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدوا عن البيت.

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آتية. فقالوا: آتية فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: (هذا مكرز، وهو رجل فاجر). فجعل يكلم النبي ﷺ. فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: (لقد سهل لكم من أمركم)^(٢).

(١) نعل السيف: ما يكون أسفل القراب حديد أو فضة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٨/١).
(٢) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٨٩/٥، ٣٩٠).

قال ابن بطال: "وقول عروة للنبي: "أرأيت إن استأصلت قومك" دليل على أن النبي ﷺ كان يومئذ في جمع يخاف منه عروة على أهل مكة الاستئصال لو قاتلهم. وخوف عروة إن دارت الدائرة في الحرب عليه، أن يفر عنه من تبعه من أخلاط الناس؛ لأن القبائل إذا كانت متميزة لم يفر بعضها عن بعض، حتى إذا كانت أخلاطاً فرّاً كل واحد ولم ير على نفسه عاراً، والقبيلة بأصلها ترى العار وتخافه، ولم يعلم عروة أن الذي عقده الله بين قلوب المؤمنين من محض الإيمان فوق ما تعتقده القرابات لقراباتهم؛ فلذلك قال له أبو بكر: "امصص بظر اللات" وهكذا يجب أن يجاوب من جفا على سروات الناس وأفاضلهم ورماهم بالفرار،... وقوله: **فكلما أخذ بلحيته**، يعني: على ما جرت به عادة العرب عند مخاطبتها لرؤسائها فإنهم يمسون لحاهم ويصافحونهم، يريدون التحبب إليهم والتبرك بتناولهم،... فلما أكثر عروة من فعله ذلك رأى المغيرة أن منزلة النبوة مباينة لمنازل الناس، وأنها لا تحتل هذا العمل لما يلزم من توقيير النبي ﷺ وإجلاله." (١) قال ابن حجر: "قوله: **أخر**، فعل أمر من التأخير، زاد ابن إسحاق في روايته قبل أن لا تصل إليك، وزاد عروة بن الزبير، فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسه...، قوله: **فقال: من هذا؟**، قال المغيرة وفي رواية أبي الأسود عن عروة فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم الأم منه ولا أشر منزلة، وفي رواية ابن إسحاق فتبسم رسول الله ﷺ فقال له عروة من هذا يا محمد؟، قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، وكذا أخرجه بن أبي شيبه من حديث المغيرة بن شعبة نفسه بإسناد صحيح وأخرجه بن حبان" (٢).

قال الخطابي: "قوله: **أي غدر**، يريد، المبالغة في وصفه بالغدر." (٣).

جاء في شرح ابن بطال: "وقوله: **"ألمست أسعى في غدرتك"** يريد أن عروة كان يصلح على قوم المغيرة ويمنع منهم أهل القتل الذي قتله المغيرة؛ لأن أهل المغيرة بقوا بعده في دار الكفر. وقول النبي ﷺ: **"أما المال فلمست منه في شيء"** يعني: في حل؛ لأنه علم أن أصله غضب، وأموال المشركين وإن كانت مغنومة عند القهر فلا تحل أخذها عند الأمن، وإذا كان الإنسان مصاحباً لهم فقد أمن كل واحد منهم صاحبه، فسفك الدماء وأخذ المال عند ذلك غدر، والغدر بالكفار وغيرهم محظور." (٤).

(١) شرح ابن بطال (١٠١/٨، ١٠٢).

(٢) فتح الباري (٣٤١/٥).

(٣) أعلام الحديث للخطابي (١٣٣٩/٢).

(٤) شرح ابن بطال (١٠٢/٨).

قال ابن حجر: " قوله: **فجعل يرمق** (بضم الميم) أي يلحظ، قوله: **فذلك بها وجهه وجلده**، زاد ابن إسحاق ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذه، وقوله: **وما يحدثون** (بضم أوله وكسر المهملة) أي يديمون...، قوله: **"ووفدت على قيصر"** هو من الخاص بعد العام، وذكر الثلاثة لكونهم كانوا أعظم ملوك ذلك الزمان...، قوله: **فابعثوها له**، أي أثيروها دفعة واحدة، وزاد ابن إسحاق: فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلانده قد حبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله ﷺ، لكن في مغازي عروة عند الحاكم: فصاح الحليس، فقال: هلكت قريش ورب الكعبة إن القوم إنما أتوا عمراً، فقال النبي ﷺ أجل يا أخا بني كنانة فأعلمهم بذلك، فيحتمل أن يكون خاطبه على بُعد، قوله: **فما أرى أن يصدوا عن البيت**، زاد ابن إسحاق: وغضب، وقال: يا معشر قريش ما على هذا عاقدناكم، أیصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟، فقالوا: كف عنا، يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى، "(١).

الطرف السادس من متن الحديث: جاء في صحيح البخاري: "...قال معمرٌ قال الزُّهريُّ في حديثه. **فَجَاءَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: هَاتِ اكْتُبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا. قَدَعَا النَّبِيَّ ﷺ الْكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ.**

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال النبي ﷺ: (اكتب باسمك اللهم).

ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله).

فقال سُهَيْلٌ: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد ابن عبد الله.

فقال النبي ﷺ: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله) قال الزُّهريُّ: **وذلك لقوله** (لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها) فقال له النبي ﷺ: **(على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به).**

فقال سُهَيْلٌ: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة^(٢)، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب.

فقال سُهَيْلٌ: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا ردّته إلينا.

(١) فتح الباري (٣٤١/٥، ٣٤٢).

(٢) الضغطة: القهر والتضييق، وأصل الضغط، الشدة والمشقة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٩/١).

قال المسلمون: سُبْحَانَ اللَّهِ؟ كَيْفَ يَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وقد جاء مُسْلِمًا، فَبَيَّنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أَبُو جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو يَرْسُفُ^(١) فِي فَيْوُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بِنَفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ.

فقال سهيلٌ: هذا يا محمد أولُ ما أقاضيكَ عليه أن تردَّه إليَّ.

فقال النبي ﷺ: (إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ). قال: فَوَاللَّهِ إِذَا لَمْ أَصَالِحْكَ عَلَى شَيْءٍ أَبَدًا.

قال النبي ﷺ: (فَأَجِزْهُ لِي).

قال: ما أنا بِمُحِيرٍ لَكَ، قال: (بَلَى فاعل).

قال: ما أنا بِفَاعِلٍ.

قال مكرزٌ: بل قد أجزأه لك. قال أبو جندلٍ: أَي مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ

جِئْتُ مُسْلِمًا؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ لَقِيتُ؟ وَكَانَ قَدْ عَدَّبَ عَدَابًا شَدِيدًا فِي اللَّهِ.

قال: فقال عمرُ بنُ الخطَّابِ: فَأَتَيْتُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟

قال: (بَلَى).

فقلتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟

قال: (بَلَى).

فقلتُ: فَلِمَ نُعْطَى الدِّيَّةَ^(٢) فِي دِينِنَا إِذَا؟

قال: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أُعْصِيهِ، وَهُوَ نَاصِرِي).

قلتُ: أَوْ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي النَّبِيَّ فَنَطُوفُ بِهِ؟

قال: (بَلَى، فَأَخْبِرْتُكَ أَنَا نَاتِيهِ الْعَامَ؟).

قال: قلتُ: لا.

قال: (فَأَيْتَكَ آتِيهِ وَمَطُوفُ بِهِ).

قال: فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَيْسَ هَذَا نَبِيَّ اللَّهِ حَقًّا؟

قال بلى.

فقلتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوْنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟

قال: بلى.

(١) الرسف: المشي المقيد، رسف يرسف رسفًا ورسيفًا، وارتسفت الإبل طردتها مقيدة، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٩/١).

(٢) فَلِمَ نُعْطَى الدِّيَّةَ: أي لم نرضى بالدون والأقل، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٣٩٩/١).

فَأْتَتْ: فَلَمْ نُعْطِي الدَّيْنَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟.

قَالَ: أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ يَعْصِي رَبَّهُ، وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِعَرْزِهِ^(١)
فَوَاللَّهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ.

قُلْتُ: أَلَيْسَ كَانَ يُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَاتِي النَّبِيَّ وَتَطُوفُ بِهِ؟.

قَالَ بَلَى.

فَأَخْبَرَكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ الْعَامُ؟.

قُلْتُ: لَا.

قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمَطُوفٌ بِهِ.

قَالَ الزُّهْرِيُّ قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا. قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِصِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: (فُؤِمُوا فَاَنْحَرُوا ثُمَّ احْلِفُوا.) قَالَ فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ، حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ.
فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ، لَا تُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ.

فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ، نَحَرَ بُدْنَهُ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ. فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَانْحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا عَمًا.
ثُمَّ جَاءَهُ نِسْوَةٌ مُؤْمِنَاتٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ (حَتَّى بَلَغَ) بِعِصْمِ الْكَوَافِرِ ﴾^(٢) ، فَطَلَّقَ عُمَرُ يَوْمَئِذٍ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا لَهُ فِي الشِّرْكِ، فَتَرَوَجَّ إِحْدَاهُمَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ وَالْأُخْرَى صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ.

ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ رَجُلٌ مِنْ فُرَيْشٍ وَهُوَ مُسْلِمٌ، فَأَرْسَلُوا فِي طَلْبِهِ رَجُلَيْنِ فَقَالُوا: الْعَهْدَ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا، فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ، فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَنَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرٍ لَهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيِّدًا، فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ: أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَجَيِّدٌ، لَقَدْ جَرَّبْتُ بِهِ ثُمَّ جَرَّبْتُ.

فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ: أَرْنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَمَكَّنَهُ مِنْهُ، فَضْرَبَهُ حَتَّى بَرَدَ، وَقَرَّ الْآخَرُ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَاهُ: (لَقَدْ رَأَى هَذَا دُعْرًا^(٣)).

(١) الغرز للرحل بمنزلة الركاب من السرج، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١).

(٢) الممتحنة: ١٠.

(٣) الدعر: الفرع، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١).

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صَاحِبِي وَإِنِّي لَمَقْتُولٌ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهُ، قَدْ وَاللهِ أَوْفَى اللهُ ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أُنْجَانِي اللهُ مِنْهُمْ. قَالَ النبي ﷺ: (وَيْلٌ أُمَّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ^(١) لو كان له أحدٌ)، فلما سمع ذلك عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ؛ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ^(٢). قَالَ: وَبَيَّفَلْتُ مِنْهُمْ أَبُو جَنْدَلُ بْنُ سُهَيْلٍ، فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، فَجَعَلَ لَا يَخْرُجُ مِنْ فَرِيشِ رَجُلٍ قَدْ أَسْلَمَ إِلَّا لَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ، حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ^(٣)، فَوَاللهِ مَا يَسْمَعُونَ بِعِيرٍ^(٤) خَرَجَتْ لِفَرِيشٍ إِلَى الشَّامِ إِلَّا اعْتَرَضُوا لَهَا. فَفَقَتَلُوهُمْ وَأَخَذُوا أَمْوَالَهُمْ. فَأُرْسِلَتْ فَرِيشٌ إِلَى النبي ﷺ تُنَادِيهِ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أُرْسِلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأُرْسِلَ النبي ﷺ إِلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حَتَّى بَلَغَ (الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ) ﴿٥﴾ وَكَانَتْ حَمِيَّتُهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُقِرُّوا أَنَّهُ نَبِيُّ اللهِ وَلَمْ يُقِرُّوا بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْبَيْتِ^(٦).

قال ابن حجر: "قوله: فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا في رواية بن إسحاق فلما انتهى إلى النبي ﷺ جرى بينهما القول حتى وقع بينهما الصلح على أن توضع الحرب بينهما عشر سنين وأن يأمن الناس بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا...، قوله: فدعا النبي ﷺ الكاتب هو علي... ويجمع بأن أصل كتاب الصلح بخط علي كما هو في الصحيح ونسخ مثله محمد بن مسلمة لسهيل بن عمرو...، قوله قال المسلمون سبحان الله كيف يرد... لأنه كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو، ولم يأته أحد من الرجال في تلك المدة إلا رده، وقائل ذلك يشبه أن يكون هو عمر...، فلما لأن بعضهم لبعض في الصلح وهم على

(١) مسعر حرب: أي موقد حرب، يقال: سعرت النار وأسعرتها فهي مسعورة ومسعرة، والمسعر الخشب الذي تسعر به النار أي توقد، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١)، قال الخطابي في أعلام الحديث (١٣٤١/٢): "وقوله (وَيْلٌ أُمَّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ)، كلمة تعجب يصفه بالإقدام، في الحرب والإيقاد لنارها، واشتقاقه من: سعرت النار: إذا أوقدتها".

(٢) سيف البحر: ساحل البحر، وهو يحاذي المدينة إلى جهة الساحل وهو قريب من بلاد بني سليم، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١)، فتح الباري (٣٥٠/٥).

(٣) العصابة: الجماعة من الرجال نحو العشرة، والجمع عصب، وقيل: هي العشرة إلى الأربعين، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١).

(٤) العير: الإبل والحمير التي تحمل عليها الأحمال، ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين (٤٠٠/١).

(٥) الفتح: ٢٤-٢٦.

(٦) أخرجه البخاري في الشروط - باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط - بلفظه، حديث رقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) (٣٩٠/٥ - ٣٩٢).

ذلك، إذ رمى رجل من الفريقين رجلا من الفريق الآخر، فتصايح الفريقان وارتهن كل من الفريقين من عندهم، فارتهن المشركون عثمان ومن أتاهم من المسلمين، وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو ومن معه، ودعا رسول الله ﷺ إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة على أن لا يفروا وبلغ ذلك المشركين فأرعبهم الله، فأرسلوا من كان مرتها ودعوا إلى المواعدة وأنزل الله تعالى: ﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم الآية﴾^(١) ... ، قوله: **فلما فرغ من قضية الكتاب** زاد ابن إسحاق في روايته فلما فرغ الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين، ومنهم: أبو بكر وعمر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص ومحمود بن مسلمة وعبد الله بن سهيل بن عمرو ومكرز بن حفص وهو مشرك، قوله: **قال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فأنحروا ثم احلقوا** في رواية أبي الأسود عن عروة فلما فرغوا من القضية أمر رسول الله ﷺ بالهدى فساقه المسلمون يعني إلى جهة الحرم حتى قام إليه المشركون من قريش فحبسوه فأمر رسول الله ﷺ بالنحر، قوله: **فوالله ما قام منهم رجل قيل كأنهم توقفوا** لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام؛ لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك؛ لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا ألتهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم مع ظهور قوتهم واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور، قوله: **فذكر لها ما لقي من الناس** في رواية ابن إسحاق فقال لها ألا ترين إلى الناس إني أمرهم بالأمر فلا يفعلونه؟، وفي رواية أبي المليح فاشتد ذلك عليه فدخل على أم سلمة، فقال: (هلك المسلمون أمرتهم أن يحلقوا وينحروا فلم يفعلوا) قال: فجلى الله عنهم يومئذ بأم سلمة، قوله: قالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم... وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به إذ لم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، ، قوله: **فأرسلت قريش** في رواية أبي الأسود عن عروة فأرسلوا أبا سفيان بن حرب إلى رسول الله ﷺ يسألونه ويتضرعون إليه أن يبعث إلى أبي جندل ومن معه، وقالوا: ومن خرج منا إليك فهو لك حلال غير حرج." ^(٢)

(١) الفتح: ٢٤.

(٢) فتح الباري (٣٤٢/٥ - ٣٥٠).

المبحث الثاني

استراتيجية النبي ﷺ في صلح الحديبية وانتهاجه لسياسة الحوار في عقد المعاهدة.

لا يمكن القول بأن الاستراتيجية التي سلكها النبي ﷺ في صلح الحديبية بدأت فقط عندما أمضى على بنود الصلح مع سهيل بن عمرو وموفد قريش الأخير، بل إن استراتيجيته ﷺ كانت مرسومة لديه منذ أزمع الخروج مع صحبه إلى مكة؛ إذ كيف يفكر أن يدخل عليهم لو لم يكن قد أعدَّ استراتيجية تملك قوة المنطق لا منطق القوة فقط؛ إذ استعمال القوة قبل صلح الحديبية كان هو ملاذ قريش واستراتيجيتها، وخيار الحرب مُضراً بالجميع، فالحرب السجال تؤدي إلى الاستنزاف، وهذا الذي أراد النبي ﷺ أن يعدل عنه لما أقدم على صلح الحديبية؛ إذ هو صانعها والمخطط لها من البداية إلى النهاية؛ لذا قال ﷺ: (إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنْ فَرَيْتَنَا قَدْ نَهَكْتَهُمُ الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً وَيُحَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرُوا، فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَفَدَّ جَمُوءًا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْقَرَدَ سَالِفَتِي وَلِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ) (١).

(١) سبق تخريجه في ص ٧ من هذا البحث.

قريش لم تكن لها المبادرة فيها، وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يسهل أمر القبول بها على قريش؟.

إنها قوة منطق الاستراتيجية السلمية التي بادر بها النبي ﷺ والتي أخرجت العدو، ففصول صلح الحديبية أشبه ما تكون بالحرب الباردة التي يكون فيها النصر للمبادر والمقبل على عدوه، وغزوه في عقر داره. ألا ترى كيف أدركت قريش للوهلة الأولى انهزامها إعلامياً إن هي قبلت بدخول النبي ﷺ وصحبه إلى مكة لأداء النسك؟، وهي تدرك أنه لم يأت رغبة في الحرب، وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة، وقالوا: "والله لا نتحدث العرب أننا أخذنا ضعة، ولكن ذلك من العام المقبل" (١)؛ لذا لا يقال: إن قريشاً لما اشترطت على النبي ﷺ أن يرجع من فوره، ولا يدخل مكة إلا في العام القادم، كان كاشتراط الطرف القوي على الطرف الضعيف الذي يقبل بكل شيء، بل إنني أقول: إن العكس هو الصحيح؛ لأن النبي ﷺ لما رأى تحقق الهدف الأساس والمتمثل في قبول قريش بالصلح، جنح معها في حوار للمرونة، وأخذ الأمور معها بالرفق واللين، لاسيما وأنه قد أعلن عن الهدف العام الذي تحمله استراتيجيته في محاورته لقريش؛ إذ قال: (والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظّمون فيها حرّمات الله إلا أعطيتهم إياها). (٢).

هذا وقد كان أمره بالسير إلى مكة مراعيّاً فيه تلافى المواجهة مع قريش؛ إذ خالف طريقهم المعتاد، حتى يدلّل لقريش بأنه جاء محاوراً بالقول والفعل، وليعلم الناس حقيقة مقصده من المودعة وتأمين الناس، وتحمل من أجل تحقيق هذا المقصد هو وصحبه المشقة والعنت؛ إذ "أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تُخرجه على تنيّة المِرَار والحديبية من أسفل مكة، قال: فسلك بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش فترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم نكصوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك تنيّة المِرَار بركت ناقة فقال الناس خلأت فقال رسول الله ﷺ: (ما خلأت وما هو لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرّحم إلا أعطيتهم إياها)" (٣).

فما أعظمه من رسول كريم، لم يعظم أحد قط البيت الحرام مثل تعظيمه له، وهذا دليل آخر يدل على نيته الصادقة في الإقدام على الصلح، وعن مدى اقتناعه بالحوار وجدواه في حل

(١) سبق تخريجه في ص ١١ من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه في ص ٥ من هذا البحث.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٣/٤).

المشكلات والأزمات؛ إذ لا يخفى على المتبصر ما لهذه السياسة الحكيمة الراشدة المحكمة من أثر بالغ على الموقف المتأزم بين دولة الإسلام الفتية وبين قريش.

"كان لهذه السياسة الحكيمة الحازمة المسالمة التي ساس بها رسول الله ﷺ الموقف أثرها في توجيه الأمور إلى نهايتها التي قصد إليها رسول الله ﷺ من هذه السياسة التي تحمّل فيها على نفسه ومجتمعه المسلم، وامتنح فيها أصحابه رضي الله عنهم أشد الامتحان، فصبروا للمحنة بعد أن مُحِّصوا تمحيصاً أخلص أنفسهم للتأسي التسليم لما يراه رسول الله ﷺ ولو خفيت عليهم حكمته وأسراره." (١).

هذا وهو ﷺ كمحاور بارع - يحمل معه استراتيجيته المبنية على الصدق والعزم على عقد الصلح وإجراء التفاوض وبدء الحوار - لم يستعجل المشركين من قريش في القبول بعرضه للصلح، بل قابل أسلوبها في الخداع والغدر - الذي سلكته في الجولات الأولى من التفاوض والحوار من خلال ممثليها و المفاوضين عنها - بأسلوب التهذئة والحل السلمي، وذلك عندما عرض عروة بن مسعود على المشركين أن يأتي النبي ﷺ فيكلمه فيما جاءهم به بديل بن ورقاء، ثم بعثوا إليه الحليس...، وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه رسول الله ﷺ، قال: (هذا فلان، وهو من قومٍ يُعَظِّمُونَ البُذْنَ، فابَعَثُوا لَهُ)، فَبَعَثْتُ لَهُ، وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبِئُونَ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا يَنْبَغِي لَهُؤْلَاءَ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ النَّبِيِّ. فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ: رَأَيْتَ البُذْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأَشْعِرَتْ، فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ النَّبِيِّ. (٢)

وبذلك بدءَ النبي ﷺ كسب حلفاء قريش إلى صفه، وكل من رشحته للتفاوض عنها الواحد تلو الآخر، بفضل الله تعالى ثم بفضل استراتيجيته التي أحكم تطبيقها في الواقع، وبمعرفته بدقائق الأمور وحقائق الأشياء؛ إذ عمد إلى فضح مخططات قريش، وأرغمها على إعادة حسابها، والتفكير بجد في قبول الصلح، وأن تنظر بعين الاعتبار في خطة الرشد التي عرضها عليها عندما بعثت إلى رسول الله ﷺ عروة بن مسعود الثقفي، فقام عروة بن مسعود، فقال: "أبي قوم، ألسنتم بالوالدي؟، قالوا: بلى. قال: أولسنتم بالوالدي؟، قالوا: بلى. قال: فهل تنهمونني؟، قالوا: لا. قال: ألسنتم تعلمون أنني استنقرتُ هل عكاظ، فلما بلحوا عليّ جئكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟، قالوا: بلى.

(١) محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة - بحث وتحقيق، بقلم: محمد الصادق عرجون، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، (٢٦٨/٤، ٢٦٩).
(٢) سبق تخريجه في ص ٩ من هذا البحث.

قال: فإن هذا قد عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُسُدٍ أَقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِيهِ. قالوا: آتِيهِ. فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فقال النبي ﷺ: نَحْوًا مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ". (١)

وقد علمت من قبل - في حديث الحوار - ما دار بينه وبين رسول الله ﷺ من حوار أدى في الأخير إلى الاعتراف بما جاء به النبي ﷺ من قوة الحجة والبرهان على صدق طرح خطة الصلح التي لا مناص منها لقريش، إن هي رضيت لنفسها النجاة، وإلا قَلِمَ جعل مقام النبي ﷺ يفوق مقام ملوك ذلك العصر؟؛ إذ قال لَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِيهِ: "أَيُّ قَوْمٍ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالتَّجَاشِيَّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَحَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعْتَ فِي كَفٍّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَذَلِكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدُهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَفْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحَدِّثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُسُدٍ فَأَقْبَلُوهَا". (٢).

ولم يكن ليحصل من عروة مثل هذا الاعتراف، والتصوير الدقيق لمحمد ﷺ وصحبه، لولا جودة عقله وبقظته، فضلا عما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل، وقد كان عروة بن مسعود شاهداً على ذلك، لذا لم يأل جهداً في النصح لقريش.

ولما أراد النبي ﷺ أن يبعث بعمر بن الخطاب ﷺ ليلبغ عنه أشراف قريش ما جاء له باعتباره من أركانه ومن قاداته، دله عمر ﷺ على عدم نجاح المحادثات بينه وبين قريش لما تحمله قريش عليه من ضغينة، واقترح عليه عثمان بن عثمان ﷺ بديلاً عنه، وهذا الموقف من عمر ﷺ يدل على مدى حرص صحابة رسول الله ﷺ في نجاح الحوار مع قريش، وأنهم يشاركون في صنْع استراتيجية الحوار مع الآخر، و على هذا ينبغي أن يُفسر تنازل عمر ﷺ لمأمورية السفارة لعثمان بن عفان ﷺ، لا سيما وأنه قد أخذ النبي ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب ﷺ.

وفي الأخير، ولَمَّا أُرْسِلَتْ بِسَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو مِمثلاً عنها، أدرك النبي ﷺ بما خبره من شؤون الآخر- الذي طالما ناصبه العدا، بل وقد حاولوا مراراً وتكراراً تصفيته وقتله، حتى اضطر للخروج من بلده، لَمَّا أَدْنَى اللهُ لَهُ بِذَلِكَ -، أَنَّ قَرِيشاً تُرِيدُ مِنَ الصَّلْحِ حِفْظَ مَاءِ الْوَجْهِ؛ إِنْ بَقِيَ لَهَا

(١) سبق تخريجه في ص ٧ من هذا البحث.

(٢) سبق تخريجه في ص ٩ من هذا البحث.

أمام العرب ماء أو وجه، وعلى هذا ينبغي أن يُفسَّر قبوله ﷺ بالتعديلات التي طالبَ بها سهيل بن عمرو إدخالها في كتاب ووثيقة الصلح.

ولم تكن ثقل شروط المعاهدة التي تحملَ فيها رسول الله ﷺ على نفسه أمراً عظيماً، بحيث لا يقوى على تحمل وقعها أحد من العالمين، بالسبب المسوِّغ له في عدم التوقيع على عقد هذه المعاهدة، فكانت بحق أساساً لسياسة علاقة الدولة والمجتمع الإسلامي بسائر المجتمعات البشرية حرباً وسلماً.

والدليل على عدم تحمل وقع هذه المعاهدة لأحد من العالمين، عدم تحمل الصحابة لها؛ إذ أظهرَ أغلبُ الصحابة شيئاً من الرفض و عدم التسليم بما جاء فيها، كاد يصل بهم إلى العصيان بسبب ما آل إليه من اتفاق على بنود الصلح التي يدل ظاهرها على كثير من الإجحاف والتنازل الملفت للانتباه.

أقول: ولولا أن رسول الله ﷺ جاء رحمة للعالمين، مصداقاً لقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾^(١)، وأنه رؤوفٌ بالمؤمنين رحيمٌ بأصحابه، مصداقاً لقوله تعالى ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حرص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾^(٢)؛ إذ أهلك كل من تحرك حركة مغضبة، كعمر بن الخطاب ﷺ وغيره من الصحابة الكرام؛ إذ لم تتحمل أجواؤهم النفسية البشرية، هذا الموقف الذي يستعصي تحمله من لم يكن صديقاً أو نبياً؛ لذا انفرد عن الصحابة بثباتِ راسخ، وإيمان صادق، الصحابي الجليل أبو بكر الصديق ﷺ؛ لأنه نال من دون الصحابة مقام الصديقين، وهو سيد الراسخين بعد النبي ﷺ.

ومن هنا أخذ حوار النبي ﷺ وجهة أخرى؛ لأن حوارَه ﷺ كما أسلفت، لم يكن فقط بينه وبين ممثل قريش، بل تعدى ذلك إلى كبار الأركان من الصحابة عليهم الرضوان، ممَّا صعب مهمة الرسول الكريم ﷺ^(٣).

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) التوبة ١٢٨.

(٣) أرى أن التفصيل في هذا اللون من الحوار - والذي أشرت إليه في المقدمة - يُبعدنا عن موضوع الندوة المخصص بالحوار مع الآخر.

المبحث الثالث

بعض الفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية.

لقد التزمت في ذكري للفوائد والأحكام الشرعية المستنبطة من صلح الحديبية، في الغالب الأعم بما صدر عنه ﷺ، وأما ما أذكره من أفعال الصحابة فإنه يؤول في الغالب إلا ما أقرهم عليه، فلا يخرج عندئذ عن أن يكون من قبيل إقراره لهم.

على أنني وجدت نفسي مضطرا إلى ذكر شيء من مناقب الصفات ومحاسنها لدى بعض المشركين في ذلك الوقت ممن حاور الرسول ﷺ، إتماماً للفائدة، وبيانا لمدى تأثير التقارب بين المتحاورين في نجاح أي حوار.

- ١- معجزاته ﷺ الظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب إليه وقد وقع نبع الماء من بين أصابعه في عدة مواطن^(١).
- ٢- وفي قصة عروة بن مسعود من الفوائد ما يدل على جودة عقله ويقظته وما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره^(٢).
- ٣- أن كثيراً من المشركين كانوا يعظمون حرمة الإحرام، والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا من دين إبراهيم عليه السلام، مثلما ورد في قصة الحليس وهو رجل من بني كنانة^(٣).

(١) ينظر: فتح الباري (٣٣٧/٥).

(٢) ينظر: فتح الباري (٣٤٢/٥).

(٣) ينظر: فتح الباري (٣٤٢/٥).

- ٤- فضل المشورة، وأن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد وليس فيه أن الفعل مطلقاً أبلغ من القول، وجواز مشاورة المرأة الفاضلة، مثلما ورد في قصة أم سلمة رضي الله عنها.^(١)
- ٥- حاجة المؤمن إلى المدد الرباني، فلولا أن الله أنزل السكينة على الصحابة رضوان الله عنهم، لم يقو إيمانهم على تلك الفتنة.^(٢)
- ٦- عدم تحمل وقع هذه المعاهدة لأحد من العالمين؛ إذ أظهرَ أغلبُ الصحابة شيئاً من الرفض و عدم التسليم بما جاء فيها، كاد يصل بهم إلى العصيان. مثلما ورد في قصة الأمر بالنحر، مع أنهم أعلم الناس وأتقاهم.^(٣)
- ٧- قد يبتلي الله بما تعجز عنه عقول كبار العلماء؛ لذا يصير التسليم الأمر للشارع فضيلة، بل منجاة من الحيرة والعذاب.^(٤)
- ٨- رأفته ﷺ ورحمته حيث لم يغضب من كلام و صنيع محاوريه.^(٥)
- ٩- قيام المغيرة على رأسه ليس من القيام المكروه"، وإلا لُئهي عن ذلك.^(٦)
- ١٠- فعل الصحابي بعمه عروة بالسيف ليس مما يُكره، وإلا لما ضحك النبي ﷺ من ذلك.^(٧)
- ١١- قول أبي بكر لعروة ليس من الفحش المذموم، وإلا لنهاه النبي ﷺ عن ذلك.^(٨)
- ١٢- قولهم: خَلَّتْ القِصَواءُ ليس من الخطاب المذموم، أقول: إن استغرابهم لأمر القِصَواءِ مبني على معرفتهم بأن الحيوان والجماد وسائر الموجودات هي في خدمته ورهن إشارته، والتي هي من مشمولات المعجزات المؤيد بها؛ لذا قال في تمام الجواب عنهم: (وما ذاك لها يخلق، ولكن حبسها حابس الفيل).
- ١٣- فعلهم في النخامة والوضوء والشعر ليس من الغلو المذموم، بل هو من التبرك المشروع.^(٩)
- ١٤- شكواهم قلة الماء ليس من الشكوى المذمومة، وفيه دليل: أنَّ التعب أخذ منهم مأخذه.^(١)

(١) ينظر: فتح الباري (٣٤٧/٥).

(٢) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٣/١).

(٣) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (٤/١).

(٤) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (٥/١).

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه (٦/١).

١٥- جواز الاستعانة والانتفاع بالكفار في بعض الأمور، مثلما ورد في قصة الخزاعي، بناء على القول بأنه لم يسلم بعد.

١٦- أن الكافر قد يسأل المسلم ما يعظم به حرمة الله. (٢)

١٧- أن الرفق بالرعية والإحسان إليهم لا ينافي تحميلهم ما يكرهون عند الحاجة. (٣)

١٨- بدء الكتاب: "باسمك اللهم" عادة محمودة عند المشركين، على خلاف أكثر الناس اليوم. (٤)

١٩- كاد أن تحصل حرب فيما بين المشركين، بسبب وجود من عظم منهم الهدي وحرمة الصد عن البيت، مما ساعد ذلك في الأخير على إبرام الصلح.

٢٠- استقباح المشركين للطبيعة؛ لقول عروة: " هل سمعتَ بأحدٍ من العربِ اجتأح أهله قَبْلَكَ؟"، وكذا فعل بني أمية مع عثمان. (٥)

٢١- جواز استعمال الفأل، واستحابه له، وأنه مغاير للطيرة. (٦)

٢٢- ما كرمه الله به وشرفه على الأنبياء بنزول سورة الفتح التي فيها التخصيص له ولأصحابه. (٧)

٢٣- صبره على أذى عروة الذي لم يصبر عليه المغيرة وأبو بكر، وإزالته المشكلات عن أصحابه. (٨)

وأخيراً يهمننا في هذا المقام أن نبحت عن مدى توافق المصلحة - التي راعاها الرسول ﷺ لنجاح الصلح - لمعاقد أصول هذا الدين الذي جاء به الرسول الكريم ﷺ ، وأنه لم يوافقهم إلا بناء على ما تقتضيه المصلحة الشرعية، لأنه إذا كان قد تجرأ البعض فوصف ما جاء في صلح

(١) المصدر نفسه (٧/١).

(٢) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (١١/١).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (١٢/١).

(٥) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (١٣/١).

(٦) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (١٤/١).

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر نفسه.

الحديبية بإعطاء التنازلات لصالح التجار والمرابين في مكة^(١)، ... إلى غير ذلك من سقط الكلام، الذي ينبو الذوق عن ذكره فضلاً عن تدوينه، فإنه يوجد أيضاً ممن تستهويه حادثة الحديبية، فيخلص منها إلى أنّ مصلحة الدعوة هي الأساس في التعامل مع الآخر.

والحق أن علماء الحديث والفقهاء قد بينوا جميعاً إلى ما كان يستند إليه الرسول ﷺ في مجمل ما وافق عليه أثناء كتابة بنود الصلح، فقد بيّن الإمام النووي فقهه في الموازنة بين المصلحة والمفسدة، وبعده استراتيجيته التي لا ولن يحيد فيها عن الهدى والحق؛ لقوله تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾^(٢)، وأنّ ذلك يدخل في مشمول معجزاته، التي التي تظهر وتنزل على الوقائع والحوادث، وما صلح الحديبية إلا حادثة من الحوادث التي كان النصر والفتح فيها للمسلمين.

قال النووي في شرح صحيح مسلم:

"وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح مع أنه لا مفسدة في هذه الأمور أما البسمة وباسمك اللهم فمعناها واحد وكذا قوله محمد بن عبد الله هو أيضاً رسول الله ﷺ وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك ولا في ترك وصفه أيضاً ﷺ هنا بالرسالة ما ينفيها فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك، وأما شرط رد من جاء منهم ومنع من ذهب إليهم فقد بين النبي ﷺ الحكمة فيهم ... بقوله: (من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا) ثم كان كما قال ﷺ فجعل الله للذين جاءونا منهم وردهم إليهم فرجا ومخرجا، والله الحمد، وهذا من المعجزات، قال العلماء: والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلها ودخول الناس في دين الله أفواجا وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي ولا يحلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة وحلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستصحونه وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته وعابنوا بأنفسهم كثيرا

(١) ينظر على سبيل المثال مقال لمفكر معاصر بعنوان: "شيء عن اليمين واليسار في بدايات المجتمع العربي الإسلامي الوسيط" مجلة الطليعة العدد: ٢٠٢، ص ٢٧، ٢٧، الصادر بتاريخ: ١٩٧٠/٥/٩. دمشق.

(٢) النجم: ٣، ٤.

من ذلك فما زلت نفوسهم إلى الإيمان حتى بَادَرَ خَلَقٌ منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلاً إلى الإسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي." (١) .

أقول: و لعله يقصد بالعلماء علماء السلف من الصحابة والتابعين، كقول: البراء رضي الله عنه: "تَعُدُّونَ أَنْتُمْ الْفَتْحَ فَتَحَ مَكَّةَ، وَقَدْ كَانَ فَتْحُ مَكَّةَ فَتْحًا، وَنَحْنُ نَعُدُّ الْفَتْحَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ... " (٢) .

وقول الإمام الزهري لما قال: "فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس بعضهم بعضاً والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنيتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك." (٣) .

(١) النووي في شرح صحيح مسلم (١٣٩/١٢، ١٤٠).
(٢) أخرجه البخاري في المغازي - باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين..) حديث رقم (٣٩١٩)(١٥٢٥/٤) بلفظه، وأخرجه ابن حبان في صحيحه - باب ذكر البيان بأن شهود الحديبية إنما كان البيعة تحت الشجرة - (١٢٧/١١).
(٣) سيرة ابن هشام (٣٢٢/٣).

الخاتمة

وتتضمن خلاصة ما توصلت إليه من نتائج، أوجزها فيما يأتي:

- ١- إنَّ الخلاف الحاصل في تسمية حادثة الحديبية، وإن كان في حقيقة الأمر من جهة اللفظ والتسمية، إلا أنني رجحت تسميتها بالصلح؛ لتوافقها مع موضوع المداخلة، فضلاً عن أنَّ أحداً لا يماري في أنها كانت مقدمة الفتح المبين، فوجب العدول عن غيرها من التسميات.
- ٢- لا يمكن القول بأن الاستراتيجية التي سلكها النبي ﷺ في صلح الحديبية بدأت فقط عندما أمضى على بنود الصلح مع سهيل بن عمرو موفد قريش الأخير، بل إن استراتيجيته ﷺ كانت مرسومة لديه منذ أزمع الخروج مع صحبه إلى مكة.
- ٣- لقد تمَّ للنبي ﷺ إعداد استراتيجية تملك قوة المنطق لا منطق القوة فقط؛ إذ استعمال القوة قبل صلح الحديبية كان هو ملاذ قريش واستراتيجيتها، وخيار الحرب مُضراً بالجميع، فالحرب السجال تؤدي إلى الاستنزاف، وهذا الذي أراد النبي ﷺ أن يعدل عنه لما أقدم على صلح الحديبية؛ إذ هو صانعها والمخطط لها من البداية إلى النهاية.
- ٤- إن قريشاً لما اشترطت على النبي ﷺ أن يرجع من فورهم، ولا يدخل مكة إلا في العام القادم، لم يكن كاشتراط الطرف القوي على الطرف الضعيف الذي يقبل بكل شيء؛ لأن النبي ﷺ لما رأى تحقق الهدف الأساس والمتمثل في قبول قريش بالصلح، جنح معها في حوارها للمرونة، وأخذ الأمور معها بالرفق واللين، لاسيما وأنه قد أعلن عن الهدف العام الذي تحمله استراتيجيه في محاورته لقريش؛ إذ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونَنِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ بِأَيَّامٍ).
- ٥- تمثلت براعة النبي ﷺ كمحاور بارع - يحمل معه استراتيجيته المبنية على الصدق والعزم على عقد الصلح وإجراء التفاوض وبدء الحوار- في أنه لم يستعجل المشركين من قريش في القبول بالصلح، بل قابل أسلوبها في الخداع والغدر - الذي سلكته في الجولات الأولى من التفاوض والحوار من خلال ممثليها و المفاوضين عنها - بأسلوب التهذئة والحل السلمي.

- ٦- حصول الاعتراف من المحاور والمفاوض العاقل عروة بن مسعود، بما جاء من أجله النبي ﷺ لم يكن ليحصل، لولا جودة عقله وبقظته، فضلاً عما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيم النبي ﷺ وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل، وقد كان عروة بن مسعود شاهداً على ذلك، لذا لم يأل جهداً في النصح لقريش.
- ٧- اقتراح عمر رضي الله عنه للنبي ﷺ في أن يكون عثمان بن عثمان رضي الله عنه، بديلاً عنه، ليس فيه جُبْنٌ وتخل عن المسؤولية، بل هو موقف من عمر رضي الله عنه يدل على مدى حرص صحابة رسول الله ﷺ في نجاح الحوار مع قريش، وأنهم يشاركون في صنْع استراتيجية الحوار مع الآخر، و على هذا ينبغي أن يُفسر تنازل عمر رضي الله عنه لمأمورية السفارة لعثمان بن عثمان رضي الله عنه، وقد أخذ النبي ﷺ بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
- ٨- ولم يكن ثقل شروط المعاهدة التي تحمّل فيها رسول الله ﷺ على نفسه أمراً عظيماً، - بحيث لا يقوى على تحمل وقعها أحد من العالمين - بالسبب المسوّغ له في عدم التوقيع على عقد هذه المعاهدة، فكانت بحق أساساً لسياسة علاقة الدولة والمجتمع الإسلامي بسائر المجتمعات البشرية حرباً وسلماً.
- هذا آخر ما مَنْ الله بتسطيره في هذه الورقة، فأسأل الله أن يثيبني الثواب الجزيل فيما أصبت فيه، وأن يتجاوز عني فيما أخفقت فيه، وأن يجعل عملي هذا في ميزان الدرجات والحسنات.

مَتْنٌ

كتابته بدبي مساء يوم السبت ١٣ صفر ١٤٢٧ الموافق ٠٣ مارس ٢٠٠٧.

الدكتور. نور الدين عباسي

المصادر والمراجع

- ١- **أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري**، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطأبي (٣١٩هـ - ٣٨٨هـ)، تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن عبد الرحمن آل سعود، الطبعة الأولى (١٤٠٩ - ١٩٨٨) المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز إحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة.
- ٢- **بعض فوائد صلح الحديبية**، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: د. ناصر بن سعد الرشيد، الطبعة: الأولى، مطابع الرياض - الرياض.
- ٣- **تاريخ الطبري**، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية بيروت.
- ٤- **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.
- ٥- **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، لمحمد بن أبي فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الأزدي الحميدي، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، الطبعة: الأولى، مكتبة السنة، القاهرة، مصر (١٤١٥ - ١٩٩٥)،
- ٦- **تهذيب اللغة**، تأليف: الإمام محمد بن أحمد الأزهرري، أبو منصور، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي، الأستاذ محمد البجاوي، الأستاذ محمود فرج العقدة، (د.ر.س.ط) الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- ٧- **الدرر في اختصار المغازي والسير**، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٨٦هـ،
- ٨- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، أبو عبد الله، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت، (١٤٠٧ - ١٩٨٦)، الطبعة الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرووط.
- ٩- **سنن ابن ماجه**، للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، تحقيق: الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- ١٠- **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.
- ١١- **سنن الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: وشرح أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ١٢- **سنن الدارمي**، للحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم، الناشر حديث أكاديمي نشاط أباد، فيصل أباد، باكستان، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
- ١٣- **السيرة النبوية لابن هشام**، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، الطبعة الأولى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد.
- ١٤- **شرح ابن بطل على صحيح البخاري**، للشيخ العلامة أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطل البكري القرطبي ثم البلنسي المتوفى سنة ٤٤٩ هـ، حققه وخرّج أحاديثه مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى (٢٠٠٣-١٤٢٤) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
- ١٥- **شرح المواهب اللدنية**، محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي، الطبعة: الثانية (١٣٩٣هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- ١٦- **الصاحح - تاج اللغة وصحاح العربية - للإمام الجوهري**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (د.ر.س.ط) دار الكتاب العربي بيروت.
- ١٧- **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد، أبوحاتم التميمي البستي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٤ - ١٩٩٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
- ١٨- **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الفكر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ١٩- **صلح الحديبية " الفتح المبين "**، لشوقي أبو خليل الطبعة: الأولى (١٩٨٣) دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق.
- ٢٠- **غريب الحديث**، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، أبو سليمان، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٦).
- ٢١- **غريب الحديث**، للقاسم بن سلام الهروي، أبو عبيد، تحقيق: د. محمد عبد المعبد خان، الطبعة: الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٩٦).

- ٢٢- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، قام بشرحه وتصحيح تجاربه وتحقيقه محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، واستقصى أطرافه ونبه على أرقامها في كل حديث الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، راجعه قصي محب الدين الخطيب، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، دار الريان للتراث، القاهرة.
- ٢٣- **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الحادية عشرة (١٤١١هـ/١٩٩١م)، دار الفكر بدمشق.
- ٢٤- **فقه السيرة**، للشيخ محمد الغزالي، خرَّج أحاديث الكتاب محدث الديار الشامية العلامة محمد ناصر الدين الألباني.
- ٢٥- **القاموس المحيط**، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي. (در.س.ط) دار الجيل بيروت.
- ٢٦- **لسان العرب**، للعلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري دار إحياء التراث العربي، دار صادر - بيروت.
- ٢٧- **المحكم والمحيط الأعظم**، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠م الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عبد الحميد هندراوي.
- ٢٨- **محمد رسول الله ﷺ منهج ورسالة - بحث وتحقيق**، بقلم محمد الصادق عرجون، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- ٢٩- **مرويات غزوة الحديبية**، د.حافظ محمد الحكمي، الطبعة الأولى (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، دار ابن القيم، الملكة العربية السعودية.
- ٣٠- **المستدرک علی الصحیحین**، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١١ هـ - ١٩٩٠م).
- ٣١- **المسند للإمام أحمد بن حنبل**، وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٤، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣٢- **النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق:**
طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية،
بيروت (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)،